الأنساق الثقافية في شعر مصطفى جمال الدين

م . محمد حسين مهدي

كلية التربية الاساسية – جامعة سومر

mohammed.hussein@uos.edu.iq

الملخص:

النقد الثقافي هو نقد ما بعد البنيوية، يتعمق في النصوص الادبية ويكشف عما تحمله من اسرار مضمرة وانساق ثقافية تؤثر في السلوك الانساني على مر العصور، وهو نشاط معرفي يأخذنا الى نقطة أبعد من النقد الجمالي، ويغوص في أعماق النصوص، ليكشف لنا الدلالة المضمرة للنص، التي تسترها الجماليات البلاغية. تأسيساً على هذه الرؤية، فإنَّ القصيدة الحديثة بوصفها نصاً أدبياً ثقافياً، تجمع الجدلي والفلسفي والاشكالي، وتشكل عوالم وفضاءات وقراءات يتداخل فيها الواقعي بالمتخيل، وتدمج الذات بالمعية، ما يحفز المتلقي على اكتناه هذه العوالم، والكشف عن تجلياتها ضمن مسار فاعل لمختلف الغايات التي قصدها الشعر العربي في العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية:(النسق الثقافي، النسق الديني، النسق السياسي، النسق الاجتماعي).

Cultural patterns in the poetry of Mustafa Gamal El-Din

M . Muhammad Hussein Mahdi

College of Basic Education – Sumer University

mohammed.hussein@uos.edu.iq

Abstract:

Cultural criticism is post-structural criticism. It delves into literary texts and reveals the hidden secrets and cultural patterns they contain that affect human behavior throughout the ages. It is a cognitive activity that takes us to a point beyond aesthetic criticism, and dives into the depths of texts, to reveal to us the implicit meaning of the text. Which is covered by rhetorical aesthetics. Based on this vision, the modern poem,

as a literary and cultural text, combines the dialectical, the philosophical, and the problematic, and forms worlds, spaces, and readings in which the real and the imaginary intersect, and the self is merged with the cosmic, which motivates the recipient to explore these worlds and reveal their manifestations within an effective path for the various goals intended by the poetry. Arab in the modern era.

Keywords: (cultural system, religious system, political system, social system).

النسق الثقافي

النسق لغة:

لقد ترددت لفظة (النسق) في اغلب المعجمات العربية ، فالنسق عند الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥ هـ) هو: ((في كل شي ما كان على نظام عام في الاشياء)) [1]كما ان للنسق دلالة اخرى عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ): فيها تفصيل للدلالة السابقة فـ ((نون و سين و قاف اصل صحيح وهو تتابع الشي ، وكلام نسق : جاء بنظام واحد عطف بعضه على بعض ، واصله قولهم ، ثغر نسق: اي الاسنان متناسقة متساوية ، وخرز نسق، منظم))[2] والاصل في استعمال لفظ النسق ان يساق للدر المتناسق، بيد ان الكلام اذا وصف بالنسق من باب المجاز[3] وسميت حروف العطف نسقاً، لان الشي اذا عطف عليه شيء من بعده جرى مجرى واحد [4] فالنسق عند الزبيدي(ت١٢٠٥هـ) صار في الكلام ، يقال ((نسق الكلام نسقاً، ويقولون في الجبل مستوياً أنه أخذ على نسق))[5] إذاً النسق هو نظام عام لأي مؤسسة علمية ، ثقافية، ادبية.

النسق اصطلاحاً:

مصطلح النسق من المصطلحات التي تحتل مكانة مركزية في لسانيات الخطاب والنص، ولذلك يعرف على انه ((ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية، الا ان لهذه الحركة نظاماً معيناً يمكن ملاحظته وكشفه، كأن نقول: ان لهذه الرواية نسقها الذي يولده توالي الافعال فيها ، او ان هذه العناصر المكونة لهذه اللوحة من خيوط والوان تتآلف على وفق نسق خاص بها))[6] ويمكن ان يكون النسق نظاماً ((بيد ان نظاميته تتجسد في مخاتلته وطبيعة لغته المراوغة اذ يصبح الشكل المؤلف بهذه اللغة الخاصة لرؤيا الشاعر وباباً لتحريرها في آن واحد))[7] وقد جاء مفهوم (النسق- system) في المعجم الفلسفي على انه ((مجموعة من القضايا المرتبة في نظام معين بعضها من مقدمات لا يبرهن عليها في النسق ذاته وبعضها الاخر يكون نتائج مستنبطة من المقدمات))[8] وهناك تعريف مقارب للنسق لميشيل فوكو حيث قال ((علامات تستمر ، و تتحول ، بمعزل عن الاشياء التي تربط بينهما))[9] وفي ضمن اطار السيميائية ، قال سوسير ((نسق سيميائي يقوم على اعتباطية العلامات، ولا قيمة للأجزاء الا ضمن الكل))[10] ، إن معاني النسق الثقافي بشقيه اللغوي والاصطلاحي انطوت على مفاهيم متعددة منها (النظام) او (التنظيم) و(الترتيب) و(المتناسق) ، سواء اكان المراد تنسيقه حرفا ام كلاما ام رواية ، بل حتى لو كان ابعد من ذلك بأن يكون شيئا جامداً حي التناسق، منتظماً بألوانه كما في لوحات الرسم وغيرها ، وتكون صورة الحال مع النموذج الاتصالي بعد اضافة العنصر السابع (النسق) الى وظائف اللغة :الشفرة ،السياق ، الرسالة ، المرسل ، المرسل اليه ،

اداة الاتصال، العنصر النسقي[11] ، وعلى وفق ما توفره هذه الرؤية العامة في الدلالة الاصطلاحية لمصطلح (النسق) ستكون مسيرة دراستنا في دراسة الأنساق الثقافية في شعر مصطفى جمال الدين.

مرادفات النسق الثقافي

هناك بعض المصطلحات التي تترادف و مصطلح (النسق)، ومن هذه المصطلحات (البنية، والنظام ، واللغة) ومنها ما يتداخل معه كعلاقة الجزء بالكل كما في (السياق) ، وسوف تقدمه دراستنا ما تمثله دلالات هذه المصطلحات في صدد وصلتها المباشرة بدلالة مصطلح (النسق الثقافي).

البنية:

جاءت البنية مرادفة للنسق الثقافي في الوظيفة التي تؤديها من حيث البنائية والكيفية التي يتكون بها الشي فهي مشتقة من الفعل اللاتيني (sture) اي بنى ، وهو يعني الهيئة او الكيفية التي يوجد عليها الشي[12]، ولكن البنية ليست صورة الشي او هيكله او التصميم الذي يربط اجزاءه فحسب، بل هي القانون الذي يفسر تكوين الشي ومعقوليته[13] وترى(أديث كيرزويل) أن البنية هي نسق مع العلامات الباطنة المدركة على وفق مبدأ الاولوية المطلقة للكل على الاجزاء[14]، و فكرة النسق ليست مساوية الى فكرة البناء او البنية، ذلك لان البناء هو الذي يظهر القانون الداخلي للنسق، فالأنثروبولوجيا البنائية مثلا لا تفسر اي ظاهرة الا بعلاقتها بالكل الذي يحتويها ، فالتمايز الحاصل بين الالفاظ او الظواهر يكون حاصلاً داخل النسق، عندما يتألف او يتشكل مع الفاظ وظواهر اخرى.[15]

السياق:

من الالفاظ التي تتداخل وتتشابك مع النسق مصطلح (السياق) فهو مصطلح متشعب متعدد المعاني، اذ استعمل مقابلا للمصطلح الانكليزي(Context) وهو يعني سلسلة من المتتابعات اللغوية بالكلمة ، وتساعد في فهم معناها[16]، إلا أن الباحثين توصلوا إلى مفهوم أوسع، أصبح بموجبه السياق دالا على مجموعة من الظروف المحيطة بالحدث اللغوي، مما ساهم في تحديد معناه، وتحديد قصد المرسل، ومرجع العلامات. [17]،وعرفه كونراد بـ ((المحيط اللغوي الي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء اكانت كلمة ام جملة في اطار من العناصر اللغوية وغير اللغوية))[18]، وهناك سياق يعرف بـ (سياق الثقافة– culture) وهو الذي تنضوي تحته السياقات الاخرى اللغوية وغير اللغوية[19]، و تحدث ستيف اولمان عن مصطلح (culture) واستعماله في معان متعددة ، ولكن المهم فيه معناه التقليدي الذي يراه في النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم ، بمعاني اوسع للعبارة ، وعلى هذا فان السياق ينبغي ان يتصل بكل ما يحيط بالكلمة من ظروف وملابسات.[20]

آليات النسق الثقافي وفعاليته:

تعددت اليات النسق الثقافي بحسب المجال الذي تُدرس فيه، سواء في اطار الدراسات الثقافية بصورة عامة، أم في الدراسات الاجتماعية والادبية بصورة خاصة ، اذ مثلت دراسات (تالكوت بارسونز) في نظريته الفعل والنسق الاجتماعي ، دلالة على الاهتمام و التوجه النسقي للبنية الاجتماعية وتكوينها في ضوء علاقتها مع الاخرين، اذ جاءت افكاره مصاغة في ضوء تصوره الجديد لانساق الفعل الكبرى وهي: النسق الاجتماعي، و النسق الثقافي، ثم نسق الشخصية على اساس أن كل منهما يمنح السلوك البشري، طابعا خاصاً يمكن تميزه على المستوى التحليلي او النظري[21]. و في حقل الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع استعمل كل من راد براون وايميل دوركهايم مفهوم (البناء الاجتماعي) في اشارة الى الاليات التي تكفل الاستمرار الاجتماعي او اعادة الانتاج الاجتماعي بلغة التحليل الماركسي[22]، و انتقد شتراوس مفهوم (البناء الاجتماعي) وقدم بديلا له المفهوم البنائي المستند الى التجريبية كما لو كان شيئاً يمكن ملاحظته او تجريده من السلوك الاجتماعي الفعلي الذي

يمارس بالواقع[23]، وتحدث (امبرتو ايكو) عن مصطلح جديد سماه (الوحدة الثقافية) ويعني اي شيء شخصاً او مكاناً او ظاهرة يمكن ان يعرف تعريفا ثقافياً ، وعد ايكو الوحدة الثقافية وحدة دلالية مدمجة في نظام وتتجاوز هذا النظام الى التقابل بين ثقافتين [24]،وتحدث لوتمان عن مفهوم النسق الثقافي بوصفه دالا على تاريخ الثقافة في ترتيب تتابعي عبر عصور التاريخ المختلفة [25]، بمعنى أن النسق عند لوتمان عبارة عن نسق من العلامات السيميائية التي تكتسب دلالتها عبر ثقافة ما، كما أطر لوتمان وظيفة الإنساق الثقافية في امرين : احدهما : أن الثقافة تعطي المحيط الاجتماعي حول الانسان وهو المحيط الذي تكون حياة الانسان فيه ممكنة ، اما الامر الثاني: فهو العمل بوصفه برنامجاً يتحكم في الافعال والافكار المستقبلية لأبناء الجماعة الممثلة لهذا النسق الثقافي[26]، وجاء مصطلح (النسق السوسيو ثقافي) عند غريتس، اذ حاول ان يحلل فيه الانظمة الاجتماعية المتمثلة بالأنظمة الحاكمة و المسيرة للأفراد والجماعات بكونها انساقاً ثقافية ، إذ عد غريتس الثقافة نسق من الرموز يعمل على اقامة خواطر وحوافز مؤثرة وراكزة لدى الناس، تعمل على اضفاء هالة من الواقعية عبر تشكيل مجموعة تصورات ذات نظام ثابت وعام لذلك فقد عالج غريتس الدين بوصفه نسقاً ثقافياً، والايدلوجيا بوصفها نسقاً ثقافياً ايضاً.[27]

الأنساق الثلاثة

الديني ، و السياسي ، و الاجتماعي

وهذه هي الأنساق الرئيسة السائدة في الخطاب النقدي المعاصر، فعند استقرائنا الاولى لشعر السيد مصطفى جمال الدين وجدنا لهذه الأنساق ظهوراً واضحاً وأثراً بيناً في الموضوعات الرئيسة لشعره وسنحاول في ما يأتي بيان المفهوم الذي نتبناه لكل نسق منها مع محاولة الالتزام بها في النصوص والمباحث الخاصة بها من دراستنا.

النسق الديني:

يعد النسق الديني من المرجعيات الثقافية المهمة في المجتمعات كافة وخصوصا المجتمعات التي تعتقد اعتقادات دينية متأتية من رسالات السماء المختلفة اليهودية ، والنصرانية، والاسلامية، وغيرها من الديانات المتعلقة بأنبياء مبعوثين من الله عز وجل ولم يكن الدين ((في حياة العرب قديما ولا حديثا حالة هامشية في الحياة اليومية، يمارسه الافراد كما تمارس الانشطة الاخرى، بل يشكل الدين نشاطاً حيوياً وروحياً اساسياً يسعى الفرد لتمثل قيمه، والمحافظة عليه ورفض كل ما يتعارض معه فكراً وعملا))[28]، فنزعة الدين كامنة في اعماق النفس البشرية، وقد يكون تدين الانسان بطبعه، لان الانسان يولد مفطوراً على التدين والاعتقاد فيما يفوق قدرته الادراكية من قوى، وهذا ما جعله يلجأ اليها اعتقاداً منه ان تلك المعتقدات التي يدين اليها بالقدسية والطاعة هي من تتحكم في مصيره[29]. كما ان الأنسان وجد في الدين محاولة لبعث السكينة والاطمئنان في النفس البشرية، فيتمسك به ليهدئ من روعها حيال ما يحيط به من مظاهر الطبيعة التي يواجه الانسان احيانا صعوبة التعايش معها، فتدفعه هذه الصعوبة الى ما وراء الطبيعة عله يجد توافقاً طبيعياً وانسانياً مع الوجود، فأبناء البشر جميعاً يشتركون في غرائزهم الدينية حتى وان كانت اشد بدائية وهمجية[30]، فالدين في بعده السيكولوجي، إنه اختيار إلهي من خلال حالة عاطفية تسبق الإدراك العقلاني، ولا تبقى هذه الأفكار والمعتقدات الدينية حبيسة سيكولوجية الفرد، بل تتحول لتتدفق إلى تيار العقيدة المصاغة التي تنشأ حولها الأساطير والطقوس التي تلعب دور الدليل المنظم[31] ، فالمعتقدات الدينية ربما تبقى مجرد افكار وصور لا تصنع ديناً ذا رهبة في نفوس الناس الا عندما تصل الى سلوك و فعل عملي يرسخ العملية الاتصالية بين الانسان والقوة الالهية[32]. وقد وظف شاعرنا الإنساق الثقافية الدينية في كثير من قصائده فهو ابن تلك المؤسسة الدينية الحوزوية الشريفة، وسليل الاصل والاسرة الطاهرة الهاشمية، والكثير من القصائد وظفها شاعرنا في خدمة الدين والقضية الدينية ، كون الدين مصدر الهام شعري مميز، لما فيه من نماذج وشخصيات تشكل محوراً دينياً فعالاً او موضوعاً مقدساً، و ذكر ذلك في قصيدة (من

امس الامة الى غدها) في ذكرى وفاة الرسول الاعظم والتي القيت في ديترويت بالولايات المتحدة عام ١٩٩١م. حيث قال:

عودي لأمسك ينطلق منك الغدُ ما شّع في دمك النبي محمدُ [33]

وقال ايضاً:

يا امة القران لم يذبل على شفتيك هذا اللؤلؤ المتوقدُ [34]

النسق السياسي:

يتمثل النسق السياسي في شعر مصطفى جمال الدين بكثير من القصائد التي تعبر عن آرائه السياسية، وقد صرح بذلك: "انا لست سياسياً محترفاً، ولم احاول، طيلة عمري، أنْ انتمي الى أي حزب سياسي– دينيا كان أو علمانياً– ليس ذلك لأني لا أفهم بالسياسة– كما يقولون– فظروفنا نحن العرب، والواقع الذي تعيشه امتنا، جعلت من السياسة خبزنا اليومي، وفرضت على كل واحد منا أنْ يكون سياسياً رغم انفه، فأنا أفهم السياسة إذن كما يفهمها المحترفون، ولكن اعتقد أنَّ موقفي هذا ينطلق من كوني (شاعراً) يؤمن بحريته في اختيار مواقفه من القضايا العامة التي تحيط به، وفي طريقة تناوله لهذه المواقف"[35]. بَيَّنَ شاعرنا نسق السياسة بأنه اختيار مواقف وقضايا عامة تحيط به وبأفراد مجتمعه، فكون هذه الإنساق تحتاج الى تفاهمات كثيرة يتطلب حضوره كشاعر، وليس كفرد منتم لحزب سياسي ما ، أو لتيار أو جماعة تهدف الى مصلحة خاصة دون مصلحة العامة. فقد فضّل أنْ يكون شاعراً منتمياً للقضايا الانسانية لا منتمياً للأحزاب السياسية ، كون الشاعر مع الناس، ومع همومهم، فهو مع الجميع، وضد الجميع، يرفض أن تؤدلج افكاره لجهة ما، فهو يقول: "لذلك فضلت أن أظل حيثُ أنا، (شاعراً لا منتمياً) اقف مع الجميع، واختلف مع الجميع، في حدود تسمح لي بالاحتفاظ بما يمليه عليّ وجداني الشعري من جهة، والتزامي السياسي والفكري من جهة أخرى" [36]، ونرى هنا في قصيدته (في حضن الامة) وهو يجعل نسق الامة المقاومة ونسق الاحتلالات المتتالية لها من البريطانيين، حيث كشف في عن القضايا المصيرية التي تخص الأمة العربية، فقد تعرض

بشعره للاحتلالات المتوالية على بلدان العالم العربي، وذكر النكسات العسكرية والحربية، وهو في كل هذا يجعل ابعاد النسق السياسي المتداخلة، وغير المتداخلة، في شعره، تصدح الى العلن، ففي (انشودة لوليد الصحراء) اعلن انتفاضته السياسية الشعرية مع انتفاضة شعبان عام (١٩٩١) ضد نظام صدام، وذكر يقظان ابن ابنته التي هربت من النظام الجائر بالعراق، ليولد يقظان في صحراء رفحاء، وهي جزء من صحراء السعودية، وقد حُجز العراقيون الهاربون فيها من بطش صدام آنذاك. ويبقى يتابع وجوه النسق السياسي في قصيدته التي يذكر بها مآسي الحاكم الجائر، ومآسي من شُرد وغُرب قسراً من بلاده التي كان امناً بها، لا لشي فقط أنهم ينشدون الحرية، ويتمنون العيش الكريم، فهو بنسق يقظان بانت عنده الآراء السياسية ، التي جعلت منه يظهر بطش هذا الحزب وحكمه على بلاد العراق. فقال:

نبؤني يامن بـ (رفحاء) بانوا كيف يغفو بليلها اليقظانُ
كيف هزت عواطف الرمل مهداً ضجرت من بكائه الاوطانُ[37]

وقد كشف في طيات اشعاره السياسية عن القضايا المصيرية الكبيرة التي تخص الامة العربية بصورة خاصة والقضايا التي تخص الامة الاسلامية بصورة عامة ، حيث قال:

سألتني بالفم الاعجم واللحظ المترجم
من ترى؟ مابالُ هذا الطفل في عينيك يهرمُ
سيدي اجزم اني بالذي يخفيه اعلمُ
ليس عني بغريب وجهه الغارق بالهم [38]

وهو في كل هذا يجعل الإنساق السياسية المتداخلة وغير المتداخلة في شعره تصدح الى العلن.

النسق الاجتماعي:

يتجاوز مفهوم النسق الاجتماعي مفهوم (البنية الاجتماعية) الذي يعتبر الثقافة مجموعة من الأنظمة والأدوار و المواقف و أنماط السلوك و العلاقات الاجتماعية و العادات و التقاليد الملموسة ،

كما يتجاوز الابعاد التجريدية والتعميمية لمفهوم (البنيات اللاشعورية الثابتة) التي تحكم تلك الابنية الاجتماعية، كما يراه عالم الانثروبولوجيا(شتراوس) وهذا يجعلنا نعتقد بأن مفهوم (النسق الثقافي) يقع في الوسط بن (البناء الاجتماعي) و(البنية الكامنة) في العقل الانساني، كونه يجمع بن وظيفة التفسير والاستيعاب للتجربة الانسانية من جهة، وبين وظيفة التأثير والتحكم في سلوك الافراد من جهة اخرى، وذلك عندما يكون نسقاً مهيمناً[39]، وقد يكون النسق الاجتماعي ، نعرة دموية رحيمة متأصلة في نمو الميول الأولية يتربى الطفل عليها، وتبدأ بالدم، وتشكل شوكة وقوة المجموعة الطائفية، ومن ثم يصبح مستحيلاً، بسبب تطوره إلى طائفة دينية أو عرفية، تستمد غضبها ليس فقط من الدم، بل أيضاً من الانتماء الديني أو الطائفي أو العرقي، أو الطائفية أيضاً، فتتحول إلى أيديولوجية ليس فقط من الشعور الديني أو الطائفي أو العرقي، بل من الارتباط الفكري والانتماء الحزبي والعلاقة الناتجة عن أي منهما[40]، وتعرف الجماعة بانها مجموع ما يدعيّ الانسان انه من خصائصه و تكوين شخصيته هي القدرات ، و الطموحات ، و الاسرة ، و الاقران[41]، وتبدو لنا ثقافة الانتماء والولاء للجماعة نابعة من طبيعة الشخصية العربية ونشأتها الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية ، وهي البنى الفوقية التي تستند اليها الجماعة ويرضخ لها كل افراد (الجماعة – القبيلة)، ويشمل الانتماء لها (التبعية ، والحظوة ، و العصبية، و النصيب من الغنيمة...)[42]. وشاعرنا المقصود بالدراسة تعددت الانتماءات الاجتماعية له فولادته ونشأت صباه كانت في قرية (المومنين) جنوب مدينة الناصرية في قضاء سوق الشيوخ، فلم يكمل دراسته الابتدائية فيها ، بعدها التحق بالجامع الهندي في النجف الاشرف طفلاً صغيراً يستظهر متن الاجرومية ويطوي تحت عباءته الصغيرة (قطر الندى) لابن هشام ، وهو يتطلع لان يحفظ رجز (الالفية) لمحمد بن مالك[43]، فقد كانت النجف منبته الحقيقي ، والنجف مدينة تقع في ظاهر الكوفة ، تبعد عنها سبعة اميال تقريباً، ولها خصائص مميزة على بقية مدن العراق الاخرى، كونها مدينة الوافدين، وكونها منزل مرقد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) حيث يكثر فيها الزائرون ، والمجاورون ، وطلبة العلم، وكونها مدينة الشمائل العربية، كالعشائرية ، و

النخوة، و رعاية الجار، و الكرم، و الضيافة، و غيرها من الشمائل العربية الاخرى، وهناك ميزة اخرى لهذه المدينة الشريفة، هي محافظتها على اللغة العربية ودراستها رغم كل محاولات التتريك ، التي فرضها المماليك والحكام العثمانيون على مدراس العراق ، والمحافظة على الدراسات الاسلامية، وهناك ميزة اخرى بتلك المدينة ، ان الشعر فيها متنفس للمجتمع النجفي المغلق، المتزمت دينياً[44]، فتوالي (الإنساق الثقافية) من باب نسق الجماعة في شعر السيد مصطفى جمال الدين كثيرة جداً، فتراه تارة يتحدث عن جماعة الامة العربية، فهو يتحدث عن مظهر عام في النسق الاجتماعي او يذكر عالماً دينياً كبيراً في شعره من طائفته ، فهو هنا يتحدث عن نسق خاص ، كما في ذكره للشيخ المفيد ، شيخ الطائفة الاسلامية الشيعية، بقصيدة معلم الامة، والتي القيت في طهران، ويقول في مطلعها:

جذورك في بغداد ظامئةٌ سغبى وظلك في طهران يحتضنُ الُعربا[45]

فهو خطاب ذو نسق جماعي ، يحاول الشاعر فيه بث الحزن، لفقيد الامة الاسلامية ، والطائفة الشيعية ، وهو يعاتب بغداد مدينة الشيخ المفيد ، بانها لم تحتضن ذكرى وفاته ، لأسباب كثيرة ، منها سياسي ، وطائفي ، وهو بذلك يحاور بشعره ويتحدث عن الجماعة ، او بصوت الجماعة او الامة ، في هذه القصيدة ، فقال:

وما برحت اغصانك الفيحُ فوقنا تمايل زهواً، وهي مثقلة كتبا[46]

فبيئة الجماعة ، لها تأثير كبير، على الشاعر وعلى فكره واشعاره، اذ العلاقة تفاعلية بين الشاعر وبيئته و مجتمعه ((فالعلاقة بينهما علاقة تأثر وتأثير، فهو يتأثر بكل ما يمثل شروط حياته من عوامل طبيعية و اقتصادية و اجتماعية و سياسية و اخلاقية، و ما فرضته من متطلبات ضرورية ، كما انه يؤثر في تلك الشروط بالتعامل مع تلك المتطلبات بسلسلة من الاستجابات الفعلية التي يعمل بها على أقامة نمط الحياة المتناسب مع تطلعاته وطموحه))[47]، فالبيئة لها دور كبير في صقل ثقافة الانسان مما ينعكس ذلك على سلوكه وحركاته من خلال مسيرته الحياتية[48] ، و باستمرار هذا السلوك تكون العلاقة مترسخة وغير متجزئة من الثقافة الاجتماعية العامة. حيث كان هناك (نسق ثقافي)

جديد و هو (أسرة الادب اليقظ) و هي اسرة ثقافية ادبية ، تعمل على متابعة اصدار الكتب الجديدة وقراءتها ونقدها و متابعة الثقافات الاخرى الواسعة مثل المقالات الادبية ، و تعمل على أثارة روح الادب ، والشعر، لدى الشباب و الادباء ، و يُشرف و يُحكم فيه احد شعراء النجف البارزين ، كاليعقوبي ، او الجعفري ، للحكم على القصائد الملقاة من المتسابقين، حتى تطورت هذه الاسرة الادبية ، ودخل بها كثر من العلماء، والادباء من العراق وخارج العراق من الخليج و لبنان [49]، ونرى نسق اخر في شعره و هو (الشعر الاخواني) في شعر المجتمع النجفي ، وهو شعر خال من التكلف والتصنع ، قد يكون صادقاً بالطرح والمواضيع و بعيداً كل البعد عن الهجاء والمجون ، لتحفظ المجتمع الديني بتلك المدينة، فهو اقرب الى الظرف من الهجاء والمجون[50]، وكان له رأي بالشعر الحر والحركة الشعرية في هذا المضمر النسقي ، فقد قام بالنقد و التقييم الادبي لهذه الحركة الشعرية ، و ناقش بدر شاكر السياب عندما التقيا في الاعظمية ببغداد حول قضية الشعر الحر وحول قصيدته (هل كان حبا)، وقرأ ايضا لنازك الملائكة قصيدتها (الكوليرا) ، الا انه انتصر لبدر شاكر السياب في اسبقيته على نازك بقصيدة الشعر الحر، معزياً ذلك ان قصيدة نازك اشبه بالموشح ، اما قصيدة السياب فهي اقرب للشعر الحر[51] . ونرى شاعرنا يتحدث عن مضمر آخر من مظاهر النسق الاجتماعي و هو (الشعر و المناسبات) و المناسبات اكثرها قضايا اجتماعية ، كأن تكون ذكرى وفاة لشخصية اجتماعية كبيرة كالرسول الاعظم او احد الائمة ، او ذكرى مواليدهم (عليهم السلام) وقد تكون مناسبات عامة او خاصة ، كوفاة شاعر ، او زعيم ، او سقوط وزارة ، او قيام حزب، او تأسيس جمعية أدبية ، او تهنئة صديق بزواجه او مولوده، وغير ذلك، وقد مر الادب العربي في تاريخه الطويل بأدوار مظلمة كان الشاعر فيها (يتكسب) بشعره ، وكان لكل حاكم او امير او حاجب ، شعراؤه المرتزقون، لاهم لهم الا انتظار (المناسبة) السعيدة التي يقف فيها امامه لتهنئته بسفر قدم منه ، او غزوة انتصر بها، واستمرت الحالة هذا قائمة مادام المال محصوراً بيد الوالي او السلطان او الحاشية، حتى غيرت الثورة الفرنسية بعض هذه المفاهيم، وتحركت الشعوب تطالب بحقوقها المغتصبة

ومنها شعبنا العربي وتحلحلت الامور بعض الشي، فوجد الشاعر والمؤلف مورد رزقه بعيداً عن منة الحاكم والسلطان فلو رأينا شاعراً يستغل هذه المناسبة ليمدح هؤلاء المتمولين اخذنا ذلك عليه ، واعتبرناه تكسباً مذموماً.[52]

حتى قال مصطفى جمال الدين بهذا المضمار:

بغداد لم يعد الزمان كأمسهِ فكراً تباع، وخاطرا يستأجرُ

وهزيل رأي اسمنته، على الطوى قيم بما يضوي عليه مفكرُ[53]

وهي اشارة من الشاعر بالتغيير الذي حصل في الحياة الادبية ، للامة العربية ، وما تعرضت له من الانتكاسات تلو الانتكاسات سواء كان على المستوى العلمي والادبي والحربي.

الهوامش

١. كتاب العين :٥/٨١.
٢. معجم مقاييس اللغة: ٥/٤٢٠.
٣. ينظر: أساس البلاغة، جار الله الزمخشري (نسق):٦٣٠.
٤. ينظر : لسان العرب، (نسق): ١٠/٣٥٢.
٥. تاج العروس من جواهر القاموس: ٢٥/٢٤٠.
٦. المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة: ١٣٩.
٧. جماليات التحليل الثقافي(الشعر الجاهلي انموذجاً) ، د. يوسف محمود عليمات:٤٢.
٨. المعجم الفلسفي، مراد وهبة:٦٤٥.
٩. موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، هيدجر، ليفي شتراوس، ميشيل فوكو، د.عبد الرزاق الداوي/١٣٢.
١٠. القراءة النسقية: سلطة البنية و وهم المحايثة ، احمد يوسف:١١٧.
١١. ينظر النقد الثقافي– قراءة في الإنساق الثقافية العربية، د. عبد الله الغذامي:٦٦.
١٢. ينظر : الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية– دراسة في الاصول والمفاهيم: بشير تاوربريت:٢٩.
١٣. ينظر: مشكلات فلسفية– مشكلة البنية او اضواء على البنيوية، د. زكريا ابراهيم:٢٩.

١٤.البنيوية، ترجمة: عارف منينمة، وبشير اوبري:٨.

١٥.ينظر: البنيوية في الانثروبولوجيا وموقف سارتر منها، د. عبد الواهب جعفر:٣٠،٣٩،٤٤.

١٦.ينظر: أستراجيات الخطاب – مقاربة لغوية دلالية، عبد الهادي بن ظافر الشهري:٤٠.

١٧.ينظر: النص والخطاب والاجراء، روبرت دي جراند، ترجمة: د. تمام حسان:٩١.

١٨.دلالة السياق في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى، د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي:٥١.

١٩.ينظر: م.ن. ٥١–٥٢، و نقد ثقافي ام نقد ادبي، د.عبد الله الغذامي، د. عبد النبي صطيف:١٩٩.

٢٠.ينظر: دور الكلمة في اللغة: ترجمة: كمال بشر:٥٧، نقد ثقافي ام نقد ادبي:١٣٢.

٢١.ينظر: علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظرتي الفعل والنسق الاجتماعي – دراسة تحليلية نقدية، محمد عبد المعبود مرسي:٨١.

٢٢.ينظر : موسوعة علم الانسان(المفاهيم والمصطلحات الانثربولوجية) ، شارلوت سيمور سمث، ترجمة: علياء شكري واخرون:٢٠٢.

٢٣.ينظر: م.ن. ٢٠٣.

٢٤.ينظر: السرد العربي القديم _ الإنساق الثقافية واشكاليات التأويل، د. ضياء الكعبي:٢١.

٢٥.م.ن.:٢٢.

٢٦.ينظر: تمثيلات الاخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، د. نادر كاظم:٩٣.

٢٧.ينظر: م.ن. ٩٦.

٢٨.م.ن. ١٠٢.

٢٩.ينظر : الخطاب المعرفي للشعر قبل الاسلام، كمال طاهير، اطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، كلية الآداب واللغات،٢٠١٣م:٧٠.

٣٠.ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام:١١/١٣،١٢.

٣١.ينظر: الاسطورة والمعنى، كلود ليفي شتراوس، ترجمة: شاكر عبد الحميد:١٤.

٣٢.ينظر: مدخل الى نصوص الشرق القديم، فراس السواح:٣٣.

٣٣.الديوان: مصطفى جمال الدين، ٣٧/ج ٢.

٣٤.م.ن: ٣٩/ج ٢.

٣٥.م.ن. ٤٩/ج٢.

٣٦.م.ن. ١١٢/ج١.

٣٧.م.ن.٦٣/ج ٢.

٣٨.م.ن. ٤٩/ج٢.

٣٩.ينظر: الطبيعة والثقافة، محمد سبيلا بنعبد العالي،٢٥.

٤٠.ينظر: العصبية- بنية المجتمع العربي- ،عبد العزيز قباني:٤٥.

٤١.ينظر : دراسات في الشعر القديم ، د. علي حسين جاسم:١٣٥.

٤٢.ينظر: الانسان المهدور_ دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، د. مصطفى حجازي:٥٥.

٤٣.ينظر: الديوان.١٧-١٨/ج١.

٤٤.ينظر. م.ن.١٩/٢٠/٢١/٢٢/ج١.

٤٥.م.ن. ٨٩/ج٢.

٤٦.م.ن. ٩١/ج٢.

٤٧.البطولة في الشعر الجاهلي، د. مؤيد اليوزبكي:٤٥.

٤٨.ينظر: لسانيات الخطاب وانساق الثقافة، د. عبد الفتاح احمد يوسف.٥٣.

٤٩.ينظر: الديوان ٥٥،٥٦/ج١ : .

٥٠.ينظر: م.ن:٦٢،٦٣/ج١.

٥١.ينظر: م.ن. ٦٨،٦٩/ج١.

٥٢.ينظر: م.ن.٨٩ ، ٩٠،٩١/ج١.

٥٣. م.ن.٩٢/ج١.

المصادر والمراجع

١.أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري جار الله أبو القاسم، الناشر، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.

٢.استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١،بيروت، لبنان،٢٠٠٤م.

٣.الاسطورة والمعنى، كلود ليفي شتراوس، ترجمة، شاكر عبد الحميد، دار الشؤون والثقافة، وزارة والثقافة والاعلام، ط ١، بغداد، ١٩٨٦م.

٤.الانسان المهدور_ دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط ١، ٢٠٠٥.

٥.البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام ، مؤيد اليوزبكي ، دار الشؤون الثقافية العامة ،٢٠٠٨.

٦.البنيوية ، جان بياجيه، ترجمة عارف منيمنة ، بشير أوبرى، بيروت ، عويدات ، ١٩٧١م.

٧.تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، طبعة الكويت

٨.تمثيلات الاخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، د. نادر كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

٩.جماليات التحليل الثقافي(الشعر الجاهلي انموذجاً) ، د. يوسف محمود عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،الاردن،٢٠٠٤م.

١٠. الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية– دراسة في الاصول والمفاهيم: بشير تاوربريت، عالم الكتب الحديث ،٢٠١٠م.

١١. الخطاب المعرفي للشعر قبل الاسلام، كمال طاهير، اطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، كلية الآداب واللغات،٢٠١٣م.

١٢. دراسات في الشعر العربي القديم: علي حسن جاسم، تموز للطباعة والنشر والتوزيع ، طبعة ١ ،٢٠١١.

١٣. دلالة السياق في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى، د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دار المريخ.

١٤. دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان ،ترجمة، كمال بشر، مكتبة الشباب، عمان، الاردن، ط١.

١٥. الديوان، مصطفى جمال الدين ، دار المؤرخ العربي، ط،١، ١٩٩٥ .

١٦. السرد العربي القديم ، الإنساق الثقافية واشكاليات التأويل، د. ضياء الكعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، الطبعة ١، ٢٠٠٥.

١٧. الطبيعة والثقافة، محمد سبيلا بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط ١، ١٩٩١.

١٨. العصبية بنية المجتمع العربي، عبد العزيز قباني، دار الآفاق الجديدة،١٩٩٧.

١٩. علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظرتي الفعل والنسق الاجتماعي – دراسة تحليلية نقدية، محمد عبد المعبود مرسي.

٢٠. كتاب البنيوية في الانثربولوجيا وموقف سارتر منها د. عبد الوهاب جعفر، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٠م.

٢١. كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) ،المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال.

٢٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٢٣. لسانيات الخطاب وانساق الثقافة فلسفة المعنى ، الدكتور عبد الفتاح احمد يوسف، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٠م.

٢٤. مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية ، زكريا ابراهيم، مكتبة مصر،١٩٩٠م.

٢٥. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب ،. د. نعمان بوقرة،٢٠١٥م.

٢٦. المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء الحديثة، القاهرة،٢٠٠٧م.

٢٧. معجم مقاييس اللغة، ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)،المحقق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٨. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام المؤلف، الدكتور جواد علي ، دار الساقي ط ٤، ٢٠٠١م.

٢٩. موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، هيدجر، ليفي شتراوس، ميشيل فوكو، د.عبد الرزاق الداوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

٣٠. موسوعة علم الانسان(المفاهيم والمصطلحات الانثربولوجية) ، شارلوت سيمور سمث، ترجمة، علياء شكري واخرون ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، ٢٠١٢.

٣١. النص والخطاب والاجراء، روبرت دي جراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب ،ط ١،مصر، القاهر، ١٩٩٨م.

٣٢. النقد الثقافي- قراءة في الإنساق الثقافية العربية، د. عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، ط٣، بيروت، لبنان،٢٠٠٥م.

٣٣. نقد ثقافي ام نقد ادبي، د.عبد الله الغذامي، د. عبد النبي اصطيف، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٤.

٣٤. يوسف أحمد، القراءة النسقية سلطة البنية و وهم المحايثة ، ط١ ،الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، لبنان، الجزائر، ٢٠٠٧ .